مثلث: اللغة، اللسان، الكلام،
الأصل والفرع

مليكة النوي

قسم: اللغة العربية وآدابها

جامعة: الحاج لخضر- باتنة

مقدمة:

إذا ألقينا نظرة بانورامية على هذه المصطلحات: اللغة، اللسان، الكلام، وجدنا أنفسنا أمام علم اهتم بهذا المثلث وأولاه عناية خاصة إنه اللسانيات.

فاللغة باعتبارها تريسانة فكرية فرضت وصايتها، فغزت العلوم التكنولوجية والرياضية والفيزيائية، وامتدت لتطال التعليم الإلكتروني وغيره.

هكذا سارت اللسانيات وفق تصور منهجي محدثة نقلة نوعية في الدراسات العلمية عامة، والأدبية خاصة، فهيمنت على علم النفس والتاريخ والسوسيولوجيا وتعليمية اللغات الحية لأبنائها وغير أبنائها والترجمة وغيرها من العلوم.

اللسانيات:

هي العلم الذي يدرس اللغات البشرية دراسة علمية، وتشمل هذه الدراسة كل المستويات اللغوية من: أصوات ومفردات وصرف ونحو ودلالة... دون أن تغفل الجوانب الاجتماعية والنفسية للغة، وبهذا شكلت اللسانيات ثورة كوبرنيكية ومنهجية من حيث النظر إلى الظاهرة اللغوية والتي يمكن تحليل مستوياتها إلى الأنظمة الآتية.

علم الأصوات (Phonétique):

يهتم بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها، أما ما اتصل بوظيفة الصوت فيهتم به علم آخر وهو:

علم الأصوات الوظيفي (Phonologie):

يهتم بالعناصر الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف المعنى، ويعمل على تصنيف الأصوات الوظيفية للغة المراد دراستها، كما يحدد عدد صويتاتها، والصويت أصغر وحدة صوتية لها دور في تحديد المعنى، وقد كان ابن جني في كتابه "الخصائص" سباقا إلى علم الأصوات الوظيفي حين فرق بين 'النضح' و'النضخ'، وبين 'القضم' و'الخضم'، ووضح أن الاختلاف في المعنى مرده إلى اختلاف الصويت: الحاء والخاء، والقاف والخاء، وهناك نوع آخر من الصويتات اختلافها يؤدي إلى اختلاف المعنى إنها الحركات فثمة فرق بين بَر وبِر وبُر.

علم الصرف:

يبحث في الوحدات الصرفية أي المورفيمات كالصيغ الصرفية والسوابق واللواحق ويعمل على تصنيفها فنجد: جنس الاسم والفعل والأداة، ولكل جنس تصريفات يسعى هذا العلم إلى تتبعها فمثلا الفعل الصحيح والمعتل، المجرد والمزيد... والاسم يصنف إلى مذكر ومؤنث، مفرد ومثنى وجمع...

علم النحو:

يبحث في التراكيب وأنواعها ومنها التراكيب الإسنادية كالمبتدأ والخبر أي الجملة الاسمية، والفعل والفاعل أي الجملة الفعلية، كما يبحث في الإعراب والتطابق بين عناصر الكلام، وأبواب الدرس النحوي كثيرة ومتنوعة لا يمكن حصرها في مداخلة.

علم الدلالة:

يبحث في المعاني اللغوية، وهو شديد الصلة بالدراسة المعجمية، وفي العصر الحديث اتسعت دائرة علم الدلالة ليشمل المعجم والنحو، ودلالة الأصوات، والصرف، والسياقية والتداولية.

علم الأسلوب:

أو الأسلوبية والتي عرقها غيرو بأنها بلاغة القدامى، وهي شديدة الصلة باللسانيات، ترتبط الأسلوبية بمؤسسها الأول "شارل بالي" وتعنى بالوقائع

التعبيرية للغة في جوانبها العاطفية والوجدانية، لذلك يكون مجال الأسلوبية الاهتمام باللغة في جانبها الإبداعي أي رصد درجة الانزياحات التي تميز طبيعة الأثر الفني.

مما سبق نستنتج أن هدف اللسانيات هو محاولة التأسيس لتوصيف الظاهرة اللغوية.

المصطلح: إشكالية الوضع؟ أم إشكالية التعدد؟

لا نبالغ إذا قلنا إن هناك إجماعا بين دارسي اللسانيات على وجود أزمة جعلت المصطلح يتخبط في فوضى واضطراب وخلط، ورغم أن اللسانيات غزت كل العلوم إلا أنها لم تستطع أن تقف في وجه هذه الأزمة الحادة بتقديم معجم لسانياتي موحد يحفظ ماء الوجه لهذا العلم، ولنا أن نتساءل: ما العوامل التي أدت إلى هذه الإشكالية؟ هل الإشكالية في وضع المصطلح؟ أم في تعدد المصطلح؟ هل بإمكان اللسانياتي ضبط مصطلحات دقيقة أم أن اختلاف المرجعية الفكرية والفلسفية والثقافية والإيديولوجية يحول دون تحقيق ذلك؟ هل تفجير الحضارة الغربية لهذا العلم - اللسانيات- وراء تفجير هذه الأزمة في المصطلح العربي؟ ما الدور الذي تتحمله المجامع اللغوية العربية لحل هذه الإشكالية؟.

لا شك أن المتتبع لأبجديات التواصل يدرك ما للمفاهيم من أهمية في حياة الإنسان، فمفهوم الصوت غير مفهوم الكلمة، ومفهوم الكلمة غير مفهوم الفكرة... بل قل: إن المفهوم ليس هو المصطلح (المفاهيم هي ما يجعل الإنسان يفرق بين شيء وشيء، وكائن وكائن، وكيان وكيان) [1] ، فالمفهوم قد يكون مصدره العقل أو الحدس أو التجربة، ومصدر هذا التنوع هو الذي يقودنا إلى تحديد طبيعة المفهوم، ولهذا الخلاف (فرق المصطلحيون قديما وحديثا... بين الفكرة والمفهوم، وبين المفهوم المجرد والمفهوم، أي بين ما ينتمي إلى اللغة العادية وما ينتمي إلى اللغة التقنية) [2] ، ليكون لكل علم مصطلحاته الخاصة حتى وإن اشتركت في المادة اللغوية فمثلا الوتد (فإنها عند اللغويين أحد أوتاد البيت، أو

الجبل من قوله تعالى: "والجبال أوتادا" [3]، وعند أصحاب العروض: ثلاثة أحرف اثنان متحركان وثالث ساكن، وعند المنجمين: أحد الأوتاد الأربعة التي هي الطالع، والغالب، ووسط السماء، ووتد الأرض) [4] ، إلا أن توظيف مصطلحات التراث يستلزم معرفة مرجعياتها (إن التجديد المصطلحي، وإعمال مصطلحات التراث لن يتم أبدا بتجاوز مرجعياتها، بل ذلك هو ما سيؤدي إلى موتها وهلاكها، لأن مرجعية المصطلح هي قلبه النابض الذي به يعيش، وإنما التجديد والإعمال رهين مواصلة البحث العلمي الجاد الذي لا يضيف إلى التراث ولا ينقصه) [5] ، وفي ذلك تأكيد ضمني على أن لكل مفهوم مصطلحا، وأن معرفة أرضية المفهوم ضرورية لتحديد المصطلح المناسب، وقد عرف عبد الصبور شاهين المصطلح بأنه (اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة) [6].

فالمتتبع لاصطلاحية المصطلح يجد أن اللغة العربية ثرة بألفاظ ومفردات إلا أن اعتماد الدراسات على الحدس بعيدا عن استراتيجية مضبوطة محكمة ودقيقة هو الذي أوقع المصطلح في هذه الفوضى وهذا الخلط، كما أن تباين المرجعية الفكرية الثقافية بين المدرسة الأمريكية الأوروبية وبين المدرسة العربية كان أحد الأسباب الرئيسة في بروز هذه الإشكالية وهي إشكالية تعدد المصطلح لا وضع المصطلح، وهذا التعدد أفضى إلى وجود مصطلحات مشوهة (ونحن نشكو من كثرة هذه الاصطلاحات تارة، وتباينها مرة، وغموضها أحيانا، وفي الوقت الذي هيأت لنا الشبكات المعلوماتية والتواصلات المباشرة على الأنترنيت ما يذلل هذه العقبات أمام العرب إن هم أرادوا أن ينشئوا بنوكا لغوية لهذا الغرض، ومن أولها توحيد المصطلحات العلمية والتجارية والاقتصادية واللسانية في الكتب المدرسية والبرامج الجامعية والأبحاث الأكاديمية التي تنجز باللغة العربية، لأن تخزين المعاجم العربية تخزينا معلوماتيا بالطريقة التجارية القديمة المألوفة لا يحل هذا الإشكال التعددي والتباييني للمصطلح العربي) [7] ، فالنص السابق يؤكد أن الإشكالية في تعدد المصطلح، هذا التعدد

الذي يقود إلى التباين وإلى الفوضى والاضطراب، ويرى مازن الوعر أن من المبادئ الأساسية التي تحكم وضع المصطلحات (مبدأ الانطلاق من المفاهيم والعلاقات القائمة بينها بدلا من الانطلاق من المصطلحات للوصول إلى المفاهيم) [8] ، فالمفاهيم سابقة للمصطلحات، ولا شك أن الاتفاق حول المفاهيم يقود حتما إلى الاتفاق حول المصطلحات (والاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل من موضعه الأول... والاصطلاح إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى... وقيل: المصطلح لفظ معين بين قوم معينين) [9].

إلا أن التطور العلمي والتكنولوجي أفرز أفكارا ورؤى ومفاهيم جديدة استلزمت وجود مصطلحات تعبر عنها، ما حدا بالقائمين على المصطلح إلى تبني علم جديد سموه علم المصطلح (ومع تفجر الثورة العلمية ووفرة المخزون المصطلحي، واتساع الحاجة إلى المزيد منه، صارت أمور المصطلح مضمونات علم جديد هو علم المصطلح) [10] ، إن علم المصطلح يعد مبحثا من مباحث اللسانيات التطبيقية يهدف إلى إرساء قواعد علمية لوضع المصطلح وتوحيده.

ثنائية الكلام واللسان في القرآن:

قد نتساءل لماذا ثنائية الكلام واللسان في القرآن، وليس مثلث اللغة والكلام واللسان، فبالعودة إلى مصطلح لغة، نجده مشتقا من لغا ولَغَوَ، واللغو كلام لا فائدة منه قال تعالى "لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا" [11]، أي لا يسمعون كلاما باطلا، فإذا تتبعنا المعنى اللغوي لمصطلح اللغة في القرآن لا نجد أثرا لهذا المصطلح إلا مقترنا باللغو، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب: صه فقد لغوت"، ولغوت بمعنى قلت كلاما لا فائدة منه، فاللغة بهذه التركيبة لم ترد في القرآن، أما في دراسات السابقين فقد كان لها حضور عند المتأخرين في نهاية القرن الثاني الهجري، من ذلك تعريف ابن جني للغة بأنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) [12] ، فإذا حللنا التعريف وجدنا الآتي:

للغة وظيفة تواصلية ←——— أصوات

للغة وظيفة تبليغية ←——— يعبر

للغة وظيفة اجتماعية ←——— كل قوم

للغة وظيفة نفسية ←——— عن أغراضهم

لننفي صفة اللافائدة عن اللغة البشرية، فما كان المجتمع البشري ليبني حضارة المعاني التي ترجمت حضارة المباني لولا اللغة، وعليه (فاللغة إنما هي أداة نستعملها لإثارة أفكار وعواطف لدى الغير) [13]. وغير بعيد عن تعريف ابن جني يذهب أنطوان ميي "Antoine Meillet" إلى التأكيد على الجوانب النفسانية والاجتماعية للغة فقال: "إن اللغة حدث اجتماعي بالدرجة الأولى، وبالفعل فإن تحديدها يناسب تماما التحديد الذي اقترحه دوركايم: (فاللغة وجود مستقل عن وجود كل واحد من الأشخاص الذين ينطقون بها... والدليل على ذلك هو أنه ليس في وسع واحد منهم أن يغيرها، وأن كل تغيير فردي للاستعمال يحدث رد فعل: وأغلب ما يكون الجزاء في هذا الرد السخرية التي يتعرض لها كل أنسان لا يكون كلامه مثل كلام الناس)" [14] ، فالكاتب أكد على صفة الجماعية للغة، فليس في وسع الفرد أن يغير شيئا من اللغة، لأن ذلك يحتاج إلى توافق وإلى اصطلاح.

الكلام في القرآن (ك ل م):

على ثلاثة أوجه: كلام الله أجمع، القرآن، العجائب

(فوجه منها: الكلام الذي أسمع الله تعالى عبده من غير واسطة. قوله تعالى في سورة النساء "وكلم الله موسى تكليما"... الثاني: كلام الله القرآن. قوله سبحانه في سورة التوبة "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله" يعني القرآن المنزل... الثالث: كلمات الله عجائبه تعالى. قوله تعالى في سورة الكهف "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي" يعني عجائبه) [15] ، كما يحمل الكلام معنى اللفظ، القول، المنطق.

وما يعنينا هو كلام الله أجمع الذي منه كان كلام البشر "وعلم آدم الأسماء كلها".

اللسان في القرآن (ل س ن):

(على أربعة أوجه: اللغة، الدعاء، اللسان بعينه، الثناء الحسن، فوجه منها: اللسان اللغة. قوله تعالى في سورة النحل "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين". كقوله تعالى في سورة الشعراء "بلسان عربي مبين" أي بلغة العرب. الثاني: اللسان الدعاء. قوله تعالى في سورة المائدة "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم" يعني دعاء داود. الثالث: اللسان. قوله تعالى في سورة البلد "ولسانا وشفتين"... الرابع: اللسان الثناء الحسن. قوله سبحانه في سورة الشعراء "واجعل لي لسان صدق في الآخرين" يعني ثناء حسنا) [16].

وما يعنينا من معاني اللسان في القرآن وجه اللغة، ووجه اللسان بعينه، فإذا عرفنا هذه الجارحة شكلها ومكوناتها تسنى لنا أن نتدرج إلى حكم صائب على اللغة، فتأكيد القرآن على الكلام بمعنى اللفظ، والقول، أخذ به اللغويون فقال ابن مالك في الألفية: (كلامنا لفظ مفيد كاستقم...)، وتأكيده على القول جاء في قوله تعالى "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" [17]. فهذا دليل على أن اللفظ سابق للقول، واللفظ كل ما تحركت به الشفتان سواء سمع أم لم يسمع، فإذا حمل معنى تحول إلى قول، وإلا فهو لفظ، فالطفل وهو يلوك ألفاظا غير مفهومة نطلق عليها لفظا، أما القول فهو كلام له معنى.

أما ثنائية اللسان فوردت بمعاني أشمل وأعم، وما يعنينا اللسان بمعنى اللغة، قال تعالى: "بلسان عربي مبين" [18]، أي بلغة العرب، وعرّف الإمام الرازي اللسان بقوله (اللسان جارحة الكلام، وقد يكنى به عن الكلمة فيؤنث حينئذ، فمن ذكّره قال: ثلاثة "ألسنة" مثل حمار وأحمرة، ومن أنث قال ثلاث "ألسن" مثل ذراع وأذرع، واللسَن الفصاحة، وقد "لسِن" من باب طرب فهو لسن، وفلان لسان القوم إذا كان المتكلم عنهم) [19].

أما الإمام الجوهري فاعتبر اللسان بمعنى اللغة (واللسن: اللغة، واللسان جمعه ألسنة وألسن ولسن، وهو جسم لحمي مستطيل متحرك يكون في الفم ويصلح للتذوق والبلع والنطق وهو مذكر وقد يؤنث) [20] ، فالقرآن ربط اللغة باللسان وليس العكس على أساس أن اللسان ثابت، أما الكلام فمتغير، واللسان ملكة بشرية وفي ذلك إشارة إلى ذلكم الاختلاف الذي حدث بين سوسير وتشومسكي وهيمس حين وجدنا أن قاعدة المثلث تباينت بين هؤلاء الثلاثة ولكل منطقه ودليله، وهو ما سنعرض له في ثنايا الحديث عن أهم المراحل التي قطعتها اللسانيات الحديثة.

مثلث اللسان، اللغة، الكلام: الأصل والفرع:

بداءة لنا أن نتساءل هل مجال اللسانيات هو البحث في اللغة؟ أم أن مجال البحث اللغوي من اهتمام علم النفس؟

إن المتمعن فيما ورد من أوجه اللسان والكلام في القرآن يدرك أن مجال البحث اللغوي ينصب على هذين المظهرين للأسباب الآتية:

اللسان: كما عرفه الجوهري وغيره جسم لحمي فهو قابل للملاحظة والدراسة.

كحاسة للذوق يخضع كذلك للمتابعة والملاحظة والدراسة.

كجهاز للنطق قابل للدراسة المخبرية، فالأصوات المنطلقة منه تحدث ذبذبات يهتم بها عالم الفيزياء.

ليكون اللسان قدرة أودعها الله في الإنسان، هي التي مكنته من إنشاء اللغة، فاللغة هي اللسان، واللسان هو اللغة وهو ما أكده القرآن. فاللسان (كل نظام من العلامات الصوتية منبنٍ انبناء مزدوج التمفصل خاص بمجموعة إنسانية معينة) [21].وما اللغة إلا أصواتسواء كانت نطقية أو خطية.

إلا أن اللافت في كتاب دو سوسير تفريقه بين اللغة واللسان إذ يقول (ففي نظرنا لابد من التمييز وعدم الخلط بينها - اللغة- وبين اللسان، وصحيح ان اللغة ليست سوى جزء جوهري محدد منه، وهي في وقت واحد نتاج اجتماعي لملكة اللسان، وتواضعات ملحة ولازمة يتبناها الجسم الاجتماعي

لتسهيل ممارسة هذه الملكة - اللسان- لدى الأفراد، وإذا نظرنا إلى اللسان ككل فإننا نجد تعددا في الشكل واختلاطا فيه، وهو، أي اللسان، يمتد إلى أصعدة مختلفة فيزيائية وفيزيولوجية ونفسية. وذلك في آن واحد كما ينتمي إلى المجالين الفردي والاجتماعي... وعلى العكس من ذلك فإن اللغة كل في حد ذاتها ومبدأ للتصنيف، وما أن نوليَها المكان الأول بين وقائع اللسان حتى ندخل ترتيبا طبيعيا في مجموعة تتمرد على أي تصنيف آخر) [22] ، فالمتأمل للعبارات: "أن اللغة ليست سوى جزء جوهري محدد منه- نتاج اجتماعي لملكة اللسان - وما أن نوليها المكان الأول بين وقائع اللسان" يلاحظ تأكيد سوسير على اعتبار اللسان كلا واللغة جزءا منه ولكنها جزء جوهري.وأساس ورئيس.

وعلى صعيد الدراسة اللسانية العربية كتب عبد الرحمان الحاج صالح عن ظواهر اللسان فقال (اللسان هو قبل كل شيء أداة تبليغ فتلك هي وظيفته الأصلية، أما غيرها من الوظائف ففرع منه، اللسان ظاهرة اجتماعية لافردية، لكل لسان خصائص من حيث الصورة والمادة، اللسان هو في حد ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها - أي هو اللغة كما أكد القرآن- وله بذلك بنى ومجارٍ ظاهرة وخفية، للسان منطقه الخاص، اللسان وضع واستعمال ثم لفظ ومعنى في كل من الوضع والاستعمال...) [23] ، فهذا تعريف من التعاريف الجامعة لأهم ظواهر اللسان وفق الدراسات اللسانية الحديثة يتقاطع فيه عبد الرحمان الحاج صالح مع أحدث الدراسات اللسانية، ولكنه يؤصل في الفقرات اللاحقة من كتابه إلى كثير من الفكر اللسانية التي كان الفكر اللغوي العربي سباقا إليها.

اللغة: أشرنا - سابقا- إلى أن مصطلح اللغة بهذه التركيبة الصوتية والخطية لم يرد في القرآن الكريم، إنما استعمل اللسان للدلالة على اللغة، والمتفحص لكتب التراث يجد أن (لفظة "اللغة" كانت تطلق عند النحاة واللغويين على عدة معان زيادة على ما يفهم من تحديد ابن جني لها وهو اللسان بوجه عام. وبينا بذلك سبب تفضيلنا للفظ اللسان عليها في ترجمة كلمة الـ linguistics الأوربية

والذي يبرر اختيارنا - بصرف النظر عن الالتباس الذي أشرنا إليه- هو أولا أن المفهوم العام الذي عرف للفظ "اللغة" ما عرف في الحقيقة إلا بعد نهاية القرن الثاني الهجري... ثم لاحظنا استعمال هذا اللفظ للدلالة على المادة المستقراة التي تلقاها الناس من أفواه اللغويين أعني: الأصمعي وأبا زيد الأنصاري وأبا عبيدة وأبا عمرو الشيباني وغيرهم ممن كان يعتني بجمع اللغة، أي موضوعات اللسان، فنسبوا إلى "اللغة" كما نسب عبد الله بن أبي إسحاق وغيره إلى النحو) [24].

أما إذا عرجنا على كتب ابن خلدون فنجده قد استخدم لفظ اللغة صراحة وهذا بعد مسيرة كانت فيها اللفظتان ملتبستين فقال (إعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وليس يوجد إلا في لغة العرب، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لابد له من ألفاظ تخصه بالدلالة) [25] ، وهو بذلك يفرق بين اللغة واللسان ففي قوله "فعبارة المتكلم وهي اللغة فعل لساني" تأكيد منه على أن اللسان صورة لا مادة، وهو ما أكده أبو اللسانيات الحديثة.

ورغم أن تعريف ابن خلدون للغة عام، إلا أنه بعد ذلك يخص اللغة العربية فيقر بأنها تمتاز بالإيجاز لاحتوائها على حروف تقوم مقام جمل أحيانا كحروف العطف أو تقوم مقام أفعال كحروف النداء، إضافة إلى ما تحققه من خاصية الربط، وكالحركات التي تعين الدارس على تمييز الفاعل من المفعول...، وإلى مجموع الروابط الأخرى التي تشكل مفاصل جسد اللغة العربية، ما جعل هذه

اللغة لغة البلاغة والإيجاز، واستشهد ابن خلدون بقوله صلى الله عليه وسلم: (أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا) [26].

وللإشارة العابرة ونحن في ملتقى "المصطلح والمصطلحية" يستوقفنا ابن خلدون في توظيفه لـ "المصطلح- اصطلحوا- اصطلاحاتهم- اصطلاحات خاصة...." فالمصطلح والاصطلاحية وظفها ابن خلدون للدلالة على أن كل حالة لها مصطلحاتها (ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو) [27].

الكلام: لفظ، واللفظ يتحقق بتوالي أصوات، وما اللغة إلا أصوات يعبر بها الناس عن أغراضهم كما عرفها ابن جني.

طريقة استعمال المتكلم للقواعد التي تجعله قادرا على توظيف اللغة للتعبير عن أفكاره والتواصل مع الآخرين.

عرف تمام حسان الكلام بقوله (النشاط العضلي الصوتي الفردي) [28].

فالكلام فعل كلامي ملموس، ونشاط شخصي مراقب يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم، وهو مطابق لمفهوم الأداء الذي وضعه تشومسكي، أما دو سوسير فعرف الكلام بقوله: (إنه مجموع ما يقوله الأفراد) [29] ، فسوسير يؤكد على ما له معنى لأنه ربط تعريف الكلام بالقول ، والقول هو الكلام الذي له معنى.

ومرة أخرى نعود إلى ما ذكره عبد الرحمان الحاج صالح في حديثه عن نظرية سوسير التي تناول فيها (عددا من المبادئ والاعتبارات العامة استخرجها من مشاهداته وتحليلاته لظاهرة التخاطب اللغوي وأداته التي هي اللسان... ويمكن أن نحصر أصالتها في: كيفية تحديده للعلاقة القائمة بين الدال والمدلول في الأذهان وفي الأعيان وبنائه بذلك نظرية للدليل اللغوي... وإشارته بعد هذا إلى وجود علم أشمل من علم اللسان يتضمنه ويتضمن الأنظمة الدلالية

التبليغية الأخرى يسميه sémiologie أي علم الأدلة "أو علم السيمياء"، وتمييزه الصريح بين اللسان "langue" أو مجموعة من الرموز تصطلح عليه الجماعة ويشترك في استعماله جميع أفرادها، وبين الكلام "parole" كتأدية فردية للسان... تحديده بناء على هذا لموضوع اللسانيات: هو اللسان لا الكلام في ذاته) [30] ، فالجديد الذي تناولته هذه النظرية هو هذا العلم الجديد وهو علم السيمياء أو علم العلامات لأنه سيدرس العلامة اللسانية وغير اللسانية.

موضوع اللسانيات بين اللغة واللسان والكلام:

شكل المثلث السوسيري مراحل زمنية كبرى للسانيات الحديثة إلا أن هذا المثلث - الذي أصبح عالميا- عرف تقليبات، فسوسير حصر موضوع اللسانيات في قاعدته: اللغة، باعتبارها نظاما من العلامات وقد انطلقت هذه المرحلة بصدور كتابه "دروس في اللسانيات العامة 1916" لتنتهي بصدور مؤلف تشومسكي "البنى التركيبية سنة 1957".

وبصدور مؤلف تشومسكي نجده قد قلب أضلاع المثلث جاعلا اللسان في قاعدته لتدخل اللسانيات مرحلة جديدة مثلها "الاتجاه التوليدي التحويلي" الذي ركز على دراسة اللغة وفق مصطلح مفهوم اللسان عند سوسير باعتباره قدرة كامنة عند الإنسان.

ليطل علينا هيمس الذي يعيد هو الآخر ترتيب أضلاع مثلث سوسير جاعلا قاعدته ترتكز على الكلام فاتحا مرحلة جديدة عرفت بلسانيات الخطاب، إذ ارتبط موضوع اللسانيات بالشخص المتكلم وأفعاله الكلامية وطرق استعماله لها.

وحتى لا نجانب الصواب نقر بأن سوسير يعود له فضل تفجير الثورات الثلاث وهي مرحلة الداليات والدلاليات والتداوليات.

الخاتمة:

بعد هذا المد والجزر الذي قادنا إلى محاولة تعريف مصطلحات: اللسان، اللغة، الكلام في الدراسات اللسانية التراثية والحديثة خلصنا إلى مجموعة من النتائج تنخلنا منها الآتي:

1- تباين تعريف اللغة واللسان بتباين المدارس اللسانية ومرجعياتها.

2- اللغة بهذه التركيبة لم تذكر في القرآن الكريم، فكان الحديث عن اللسان الذي حمل في وجه من أوجهه معنى اللغة.

3- سوسير لم يكن الأب الحقيقي للسانيات فحسب بل كان له فضل نشأتها وتطورها وريادتها على العلوم الإنسانية.

4- مثلثه المشهور: لسان، لغة، كلام، كان سببا مباشرا في تفجير ثلاث ثورات وهي :ثورة الداليات والدلاليات والتداوليات.

5- انبثق عن ثورة الداليات المدرسة البنوية.

6- أما ثورة الدلاليات فانبثقت عنها المدرسة التوليدية التحويلية.

7- ثورة التداوليات انبثقت عنها المدرسة الوظيفية التي عارضت المدرسة البنوية في مبالغتها للانتصار للبنية وإغفالها للوظيفة، كما عارضت المدرسة التوليدية التحويلية في مبالغتها في اهتمامها بالمكون التركيبي في نماذجها الأولى على حساب المكون الدلالي والتداولي.

8- انتصرت المداخلة لمصطلح اللسان على حساب مصطلح اللغة.

الإحالات:

---

[1]- محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص.06.

[2]- المرجع نفسه، ص.08.

[3]- سورة النبأ، الآية 07.

[4]- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، القاهرة، 1342هـ، ص.02.

[5]- فريد الأنصاري، أزمة المصطلح التراثي في الفكر العربي المعاصر، مجلة الفيصل، الرياض، ع 280، 2000، ص.26.

[6]- عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ط2، 1986، ص.118.

[7]- عبد الجليل مرتاض، اصطلاح المصطلح في اللغة العربية، مجلة المصطلح، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ع1، مارس 2002، ص.15.

[8]- حافظ إسماعيلي علوي، ووليد أحمد العناني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط، 2009، ص.133.

[9]- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1978، ص.28.

[10]- ممدوح محمد خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق، 2008، ص.15.

[11]- سورة النبأ، الآية 35.

[12]- ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج1، 1997، ص.50.

[13]- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص.77.

[14]- مدخل إلى علم اللسان الحديث، اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، 1972، ص.36.

[15]- الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط03، 1980، ص.407.

[16]- المرجع السابق، ص.414، 415.

[17]- سورة ق، الآية 18.

[18]- سورة الشعراء، الآية 195.

[19]- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1990، ص.379.

[20]- الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، م6، دار المعرفة، 1984، ص.470.

[21]- عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص.145.

[22]- فردينان ده سوسر، محاضرات في الأسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص.21.

[23]- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص.184،185.

[24]- المرجع السابق، ص.81، 82.

[25]- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الول، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، "د.ت"، ص.479، 480.

[26]- المرجع السابق، ص.480.

[27]- المرجع السابق، ص.480.

[28]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1955، ص.31.

[29]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص.124.

[30]- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علم اللسان، ص.151.